إسماعيل عليه السلام في العهد القديم (استكشافات جديدة) حوار جون نوبل





د. عبدالرحمن أبو المجد

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 10/5/2016 ميلادي - 2/8/1437 هجري

الزيارات: 34853

إسماعيل عليه السلام في العهد القديم

(استكشافات جديدة)

حوار جون نوبل

قال تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: 125].

على الرغم من العهد في القرآن واضح وجلي، ولأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) أفضل الأنبياء وخاتم المرسلين فلا شك بأن أباه إسماعيل أفضل من إسحاق، فضلاً عن كونه ابن الذبيحين، إلا أن إسماعيل (عليه السلام) في العهد القديم عادةً ما يُنظر إليه بدرجة أقل بسبب التبديل والتغيير؛ ولأنهم ينتسبون إلى إسحاق فأنهم يُعلُون من قيمة إسحاق (عليه السلام)، ويجعلون له نصيبَ الأسد في العهد الإبراهيمي، وكأنه مقصور على إسحاق، غير أن ضيفي الباحث الدكتور "جون نوبل" له رأيٌ علمي موضوعي، توصَّل إليه بعد بحوث علمية متعمِّقة، يكشف عن بعضها مما أقرَّه بعضُ أحبار يهود في هذا الحوار الماتع.

لدينا فرصة جديدة للتفكير حول إسماعيل (عليه السلام).

في هذه النقطة، "جون نوبل" لن يتكلم عن وجهات نظره بشأن مكانة إسماعيل، لكنه يتحدث أيضًا عن أُطروحته التي تحقَّقت في الوظائف الأدبية واللاهوتية لإسماعيل (عليه السلام) في العهد الإبراهيمي أيضًا.

الدكتور جون. ت نوبل:

أستاذ مساعد في الكتاب المقدس والدين، ومدير مركز الدراسات غير الغربية في جامعة هنتنغتون إنديانا منذ 2012م، وهو حاصل على الماجستير والدكتوراه في قسم لغات الشرق الأدنى والحضارات، جامعة هارفارد، تم قبول أُطروحته التي تحقَّق في الوظائف الأدبية واللاهوتية لإسماعيل (عليه السلام) في العهد الإبراهيمي بامتياز، ومن المقرر أن تَظهر في مايو 2016 ككتاب بعنوان (مكان لابن هاجر: إسماعيل عليه السلام) كدراسة حالة في التقاليد.

س: أولًا وقبل كل شيء، نحن نشكركم لموافقتكم على إجراء هذه المقابلة، أتساءل: ما الذي دفعكَ على أن تَدرس مكانة إسماعيل عليه السلام في كتابك كبحث أكاديمي علمي؟

جون نوبل: شكرًا لك على شرف التصدِّي لجمهور القراء، أثار الانتباه إلى مسألة هاجر وإسماعيل (عليهما السلام) أولاً من المصلحة التفسيرية، تُمثِّل قصتهم مشكلة تفسيرية عويصة في الكتاب المقدس العبري (العهد القديم)، فلماذا يُقدَّم لهذين الشخصين كثير من الاهتمام الإيجابي في "سِفر التكوين" إذا كان غرض العهد الإبراهيمي مقصورًا لابن إبراهيم الآخَر؛ إسحاق؟

أكَّد أساتذتي دائمًا على أهمية التفاصيل والقراءة المتأنِّية، ولديَّ افتراض هو أن ما في كتاب "سِفر التكوين" قد يكون المقصود الأكثر لهاجر وإسماعيل، عما لسارة وإسحاق، وعلى الرغم من أننا كثيرًا ما نسمع التفسيرات اليهودية أو المسيحية التقليدية، ولكن واحدة من أعظم آمالي لهذا الكتاب أن يتجاوز الأكاديمية، إن بعض الأفكار قد تكون مثمرة لهذا الحوار، ولو جاءت بطرق مُوجزة، ومَدعاة للاحترام المتبادل بين أتباع الديانات الإبراهيمية الكبيرة.

س: أنت تدرس بعناية دورَ إسماعيل (عليه السلام) وأمه هاجر وتصويرَهما في التقاليد اليهودية في "سفر التكوين"، وأتساءل: ما الجديد الذي اكتشفتَه؟

جون نوبل: قد لا يكون كثيرًا، يعترف العلماء الحديثون أن الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس؛ عادة ما تعرف بالتوراة أو أسفار موسى الخمسة، وتتألف من مصادر مختلفة، وما زال الخلاف مستمرًّا حول الطبيعة المحددة لهذه المصادر، ولكن في تقليد "بريسلي" اعترف كمصدر واحد وعلى نطاق واسع، ولا يوجد مصدر في المواد الأخرى وصف الإجماع، وكثيرًا ما يُشار إلى مجرد "غير"، وإن كان في هذا الكتاب أكثر تحديدًا في تحديد كل من المواد والتلميع لهاجر وإسماعيل (عليه السلام): 16: 1- 14 (Yahwist، أو "J")؛ 17: 1-27 (بريسلي، أو "P")، و 21: 8-21 (المصدر الإلوهي، أو "E").

أولًا أنا أعلق على التقاليد في غير بريسلي، بما في ذلك "الإلوهيست" أو "الياهويست" Yahwist وElohist، كثيرًا ما كتبتُ حول تجميع ملاحظات أخرى أو مشتقة، على سبيل المثال، فكرتي بُنيَت على ما أتى به الحَبر اليهودي "جويل كامينسكي": "وعلى الرغم من كل ذلك (التميُّز لإسماعيل)، إلا أنني أحب يعقوب"، يلاحظ أن "سِفر التكوين" لا يُميز بدقة بين "الانتخاب" و"مكافحة المنتخب" في القصص الأبوية، التي تتوجه إلى حد كبير في جميع الأنحاء يتوجه بأمر إلهي غامض لصالح أحد الإخوة أو أحد أفراد أسرته على آخر، ملاحظتي هي أن إسماعيل (عليه السلام) يَبرُز في المقارنة متميزًا عن غيره من أفراد الأسرة الإبراهيمية في "سفر التكوين"، لا يتم انتخابه، ويتم إظهار الخصائص السلبية التي من شأنها أن تبدو - للتبرير - دُست عليه في الخيارات، ولا يتم تصوير إسماعيل (عليه السلام) وأمِّه في الإلوهيست أو الياهويست بما لا يستحقُّون، ولكن فضلًا عن ذلك فإنهم من المضطهَدين، لدرجة أن تم اعتبارهم ضحايا في منزل إبراهيم (عليه السلام) وسارة.

في هذه التقاليد (غير بريسلي)، فإن الله تفهَّم هاجر وإسماعيل (عليه السلام) في الإلوهيست، وفي "سفر التكوين" 16 (J) يضع التركيز بشكل خاص على الإدراك الحسي؛ أن الله في انتباهِه لمِحنَتهم؛ وبالتالي فإن قصد الله ابن هاجر هو إسماعيل (عليه السلام)، وهذا يعني من اسم (إسماعيل) أن الله سمعه؛ (الله سمعه)، واسم هاجر هي الشخص الوحيد في الكتاب المقدس بأكمله الذي يُعطي الله اسم اسماعيل، وقالت إنها تدعو له: (الله الذي يراني)، أنا أفهم النطق لهاجر أن إسماعيل عليه السلام سيكون "حمارًا وحشيًّا لرجل يدُه ضد الجميع، ويد الجميع ضده"؛ لتكون كلمة عزاء لابن العبيد هاجر المظلوم، لن يكون خادمًا لأحد، (صاحبة استجابة بالامتنان، وهذا مؤشر على رضا هاجر مع وصف الله لإسماعيل عليه السلام)، ومن الجدير بالذكر أن الساكنة العبرية لاسم هاجر HGR أيضًا توضح ب "الغريبة"، وهي فئة خاصة من الأشخاص المحميِّين في الأحكام القانونية المختلفة لأسفار موسى الخمسة.

ملاحظة أخرى قد قدمت، هي أن قصة هاجر وإسماعيل (عليه السلام) تنبئ الخبرة الإسرائيلية التي تراكمت في "سِفر الخروج"، كما أن هاجر هي الأَمَة المصرية لإبراهيم (عليه السلام)، وسارة من أسلاف يعقوب، فكذلك سوف تأتي من إسرائيل لخدمة مصر في بداية قصة النزوح، (نذكر أن الإسماعيليين جلبوا يوسف للعبودية المصرية في المقام الأول، فيما يبدو أنه نوع من العدالة الراهنة)، وفي "سِفر التكوين" 21 (E)، ويرغب الله أن يعوض هاجر وإسماعيل (عليه السلام) اللذان يعيشان في برية حاران بعد أن (تركهم إبراهيم (عليه السلام) وهم جزء من أسرته، مثلما يخلص الله بني يعقوب بعد خروجهم من الظالمين المصريين.

س: هل يمكن أن تستفيض في شرح الوعود الأبوية لإبراهيم (عليه السلام)، وتبين أن إسماعيل (عليه السلام) هو المرشح المفضل للعهد، وبشكل واضح، وإن لم يكن المختار؟

جون نوبل: أنا هنا أعتمد على عمل باحث يهودي آخر، إنه الحَبر البارز "جون ليفينسون"؛ (موت وقيامة الابن الحبيب)، الذي أشرف أيضًا على هذا المشروع، باعتباره أُطروحة، الإشارات الأولى لفينسون أن يسلك الكتاب المقدس وجود نمط من الذل والتمجيد، أو موته وقيامته من بين أولئك الذين يضع الله بعضهم على بعض كالأحبة، أمثلة تشمل - ولا تقتصر - على التضحية بقرب إسحاق (عليه السلام)، يوسف القريب، والأشقاء، وعقوبة السجن التي سبقت صعوده في محكمة فرعون؛ وحتى يسوع العاطفة، والموت، والقيامة في العهد الجديد.

في هذا الكتاب، أزعم أن نمطًا يمتد إلى هاجر وإسماعيل (عليه السلام)، اللذين عانا أيضًا من الذل حتى عند اقتراب الموت، إن الله يجلب تمجيدهما في القصص، وهذه علامة من الله لصالح شخص غير معروف من بين شخصيات أخرى من التقاليد الأبوية، ولا يتم اختيار، وغير مدرج في عهد معين أن يجعل الله العهد لإسحاق.

س: أتساءل: كيف تجد التناقض العميق لتصوير هاجر وإسماعيل (عليه السلام) في الكتاب المقدس؟

جون نوبل: وإلى جانب مناقشة النصوص في (غير بريسلي)، فإن "سِفر التكوين" 17 (P) يصور عهد الله مع إبراهيم بأنه يتناقض تناقضًا كبيرًا فيما يتعلق بإسماعيل، هناك دلائل تشير إلى أن هذا المصدر الكهنوتي على دراية بالقصص القديمة عن الابن الأول لإبراهيم عليه السلام، ولكن يعرض الوضع المبهم له بطريقة مختلفة، وذلك باستخدام اللغة التي تُشير على حد سواء تجاه استبعاد إسماعيل وإدراجه في العهد الإبراهيمي، يقول الله تعالى صراحة: إن عهده سينشأ مع إسحاق، ولكن يتمتع إسماعيل بنعمة موروثة من تكاثر النسل، ومن الواضح أن الله جعل في طقوس الختان محورَ العهد، ولكن ختان إسماعيل عليه السلام جنبًا إلى جنب مع كل من الذكور الآخرين بين المنزلية من إبراهيم، والغريب أن إبراهيم يتوسل إلى الله لأجل إسماعيل عليه السلام، "العيش قبل!"، عندما يسمع الميلاد القادم إسحاق، وردًّا على ذلك، والله يستحضر اسم إسماعيل عليه السلام، قائلًا: "لقد سمعت"، ولكن تكرر أنه سيؤسس عهدَه مع إسحاق، إذًا أي شيء غير واضح، فهو أن تشييد العهد الإبراهيمي يكتنفه الغموض مع إسماعيل عليه السلام، كما أنه داخل في العهد، وفي نفس الوقت خارج عنه.

سؤال: دكتور جون، باعتبارك مدير مركز الدراسات غير الغربية، لم أعرف لماذا لم أجد أي إثباتات من القرآن؟ على الرغم من أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (عليهم السلام) يظهرون في العديد من الآيات والسور؛ فقد ذُكر إسحاق 17 مرة، فلو قمت بدراستهم في القرآن الكريم تتوسع أفكارك تمامًا.

جون نوبل: (لست متأكدًا تمامًا من استيعاب هذا السؤال، أعتقد أنك تريد أن تقول: إنه كان يجب أن يُراعى اعتبار وجود إسماعيل وإسحاق في القرآن الكريم).

نعم، بالطبع هناك ما هو أكثر من ذلك بكثير للنظر، عندما نأتي إلى إسماعيل وإسحاق في القرآن الكريم، وهذه المواد هي خارج نطاق هذا المشروع، ولكن آمل أن أُفكِّر بجدية أكبر في المستقبل عن تاريخ استقبال إسماعيل عليه السلام في الآداب الأخرى، بما في ذلك التقاليد الإسلامية.

س: لست أدري كيف يُنظر إلى إسماعيل عليه السلام كشخصية رئيسية في مواد "برسيلي" الكهنوتية، وكيف يمكن للعهد مع نوح أن يتصل بالعهد مع إبراهيم (عليهما السلام)؟

جون نوبل: كل من عهد نوح في "سفر التكوين" 9 والعهد الإبراهيمي "سفر التكوين" 17 هي مجال "بريسلي"، وبين العهدين بعض الأمور الهامة المشتركة: "علامة العهد" إعلانًا بأن العهد "أبدي"، والتأكيد على تكاثر النسل، يعتزم "بريسلي" للعهدين؛ ليتصل مع بعضها البعض، ولعل أكبر الفرق بين العهدين هو أن عهد نوح عالمي، ويمتد إلى البشرية جمعاء، من خلال نوح كسلف لجميع الشعوب بعد الطوفان، في حين عهد إبراهيم يمثل بداية لعلاقة الله الخاصة مع مجموعة فرعية من الإنسانية، وعلى الرغم من هذا، ينبغي أن يراعى في الاعتبار أن إسماعيل يمكن أن يُنظر إليه على أنه نوع من الارتباط للعهدين، في لحظة عندما يتم تضييق التركيز في عهد الله يُورَّث لابن إبراهيم إسحاق، ويعطى ابنُه الأول إسماعيل نعمةَ مورثِه العهد، ويشارك إسماعيل أيضًا في الختان، وأنه يتمتع أيضًا بنعمة تكاثر النسل، حتى إنه أيضًا يصبح أبًا لأمة عظيمة.

أجد من المفيد تفسير "كونراد شميد" لكل من هذه العوامل، إضافة إلى الإدراج الجزئي لإسماعيل في العهد الإبراهيمي، وهذا صحيح بقدر ما يتميز العهد من قبل اثنين من دوائر مختلفة، واحدة لأسرة (إبراهيم الأوسع)، وواحدة لبني إسرائيل ولإسماعيل؛ لأنه هو الشخصية الرئيسية في تقاليد "بريسلي"، ثم لأنه يسلط الضوء على النظرة العالمية لبريسلي؛ يُشير إلى أن جميع نسل آدم، ونوح، وإبراهيم يقع ضمن ما اختصهم الله بالرحمة والاهتمام.

س: "التصوير السلبي لسمعة إسماعيل وأسلافِه العرب المسلمين في العصر الحديث، كيف يمكن أن تُعالَج هذه القضية ليتحقق السلام الحقيقي؟ وعد الله إبراهيم أن بركته ينبغي على إسماعيل" بكل تأكيد استمع لصرخة إسماعيل، وأجاز لأمة العظيمة أن يخرج، أتذكر إسماعيل يأتي أيضًا من نسل إبراهيم "سفر التكوين" 17:20، 25 - وأما إسماعيل فقد سمعت لك!. ها، وسوف نجعل منه ثمارًا مثمرة، وسوف يضاعف له جدًّا، فعليه أن يصبح أبًا لاثني عشر من الأمراء، وأجعله أمة كبيرة، ماذا تود أن تُضيف؟

جون نوبل: (بابتسامة) سيأتي تباعًا.

س: طريقًا لحل التوترات اليهودية/ الإسلامية المعاصرة، تحديدًا للمعالجات المختلفة لإسماعيل وهاجر، كجسر يفضح ياهويست، وكما يُوجه الإدانة، لكن نجد أن مصادر "بريسلي/الألوهية" تحافظ على مكانة إسماعيل المهمة، وتستعيد النعمة له، بالإضافة إلى إسحاق، هل يمكن توضيح ذلك من فضلك؟

جون نوبل: أنت تلمح في إشارة إلى ستيفن بريدج، الحصول على العهد القديم (هندريكسون، 2009)، وأنا أُقدِّر أن بريدج يتمنى النعمة بدلًا من الصراعات التي لا تنتهي بين المجتمعات في الأرض، والتي تتسمى بالاسم إبراهيم (66)، وأنا أتفق معه في تقييمه أن مصادر غير بريسلي يروون فيها قِصَصًا مشابهة عن هاجر وإسماعيل، وخروجهم من منزل إبراهيم، غير أني أختلف وإلى حد كبير مع توصيفه للفرق بين الحسابين، الحسابات الختامية، كما يقول، أن Yahwist هو الإدانة فيما يتعلق بهاجر وإسماعيل، وفيما يتعلق بالجنرال 16: 1-14، وقال إنه كتب ما يلي:

بوضوح، تُقدم هذه الحلقة من التصوير السلبي للأصل وسمعة الإسماعيليين، وأسلافه في العصر الحديث العرب المسلمين، وَفقًا لذلك، سواء كانت من أجل لا شيء، ولكن الصراع في علاقاتهم مع أقاربهم الساميين، الشعب اليهودي في العصر الحديث، فضلًا عن ذلك، هذا التقليد يضع اللَّوْم لهذا الصراع بشكل مباشر على أكتاف ذرية إسماعيل (63).

يمثل تفسير بريدج في المفهوم الشعبي هاجر وإسماعيل في هذا المقطع، ويستند:

1) تحديد هاجر باسم "المشاكس" بسبب ازدرائها لسارة (ت 4).

2) ملاك تعليمات يهوه أن يكون لها تقديم لسوء المعاملة مع سارة (ت 9).

3) النطق المختلف إسماعيل (ت 12).

هذه العوامل ترسم صورة قاتمة على السطح، ولكن هناك المزيد لهذه القصة التي تأتي إلى النور من خلال قراءة متأنية، كما ذكرتُ لك أعلاه، هناك نمط ثابت من الذل وتمجيد حضور أولئك الذين فضل الله في التقاليد الأبوية وفي الكتاب المقدس ككل، وهاجر وإسماعيل، تناسب هذا النمط في "سِفر التكوين" 16.

وفيما يلي بعض النقاط المحددة من مكان لابن هاجر في دعم القراءة المتعاطفة مع هاجر وإسماعيل في مرور الياهويست، أولًا، هذه القصة تتبع نوعَ مشهدٍ مألوف يشهد في بعض الملاحم القديمة والإقليمية (ملحمة الأدب)، بما في ذلك بلاد ما بين النهرين؛ ملحمة جلجامش، وملحمة أوغارتيك Ugartic؛ (أغاريت أو أوغاريت، بالإنجليزية: Ugarit) هي مملكة قديمة في سورية، كُشفت أنقاضها في تل أثري يُدعى رأس شمرا وكذلك في رأس ابن هاني، تتبع محافظة اللاذقية، على مسافة 12 كم إلى الشمال من مدينة اللاذقية، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تعود حتى العام 7500 ق.م)، فيها بطل الرواية يسيء بتفوقه، ويجب أن يواجه ترتيبًا على ذلك بسخط أو غضب، المهم هو أن المقصود من القارئ أن يتعاطف مع هاجر، ثانيًا: أوامر هاجر أن تقدم إلى سارة ما ينطوي على نفس الفعل الذي وجد في الفصول السابقة، أيضًا مصدر Jعندما يُعلِن الله لإبراهيم أن نسله سوف يكون من "المظلومين"؛ كالعبيد في أرض أجنبية فإن تلك "غريبة" (تك 15: 13)، هذه اللغة تتوازى أن هاجر "أجنبي"، تعاني "القمع" باعتبارها أَمَة مصرية لأسلاف إسرائيل، فهذا استخدام موازٍ لهذه الشروط، يُشكل ويُنذر هاجر وإسماعيل كنموذج مصغر لشعب إسرائيل، وهو الموضوع الذي هو أيضًا موجود في العماد 21: 8-21 (انظر أعلاه).

وأخيرا، أيًّا كان الشخص من إعلان إسماعيل الوظيفي، فمن الواضح أنه لن يكون عبدًا، وأنه سوف يكون ابنَه الحقيقي من هاجر، والذي يجلب الراحة لهاجر التي تعاني من وضعها الطارئ لها على حد سواء؛ كالرقيق والبديل، في رأيي إذًا: حسابات ياهويست الألوهية لا تختلف كثيرًا عما اقترحه بريدج.

ومن المؤكد أن كلًّا من الجنرال 16: 1-14 والجنرال 21: 8-21 حاولا إزالة إسماعيل من عائلة إبراهيم، مما يجعل مساحةً لإسحاق أن يكون وريثًا للعهد، بعد تصوير هاجر وإسماعيل هو أكثر تعقيدًا من ذلك، وأنهم يتمتعون برحمة الله وبركته، ولقد ذهبت حتى لصالح إسماعيل أعظم نعم الكتاب المقدس، ومع ذلك وُجدتْ في العهد في بريسلي "سِفر التكوين" 17، حيث يُشارك في العهد الإبراهيمي، ويصبح أبًا لاثني عشر أميرًا وأمة عظيمة.

عبدالرحمن: شكرًا جزيلًا لك، يا دكتور جون.

جون نوبل: شكرًا لكم على إتاحة الفرصة.
